

الحلقة الخامسة والعشرون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تحدثنا في اللقاء السابق عن الفرق بين نهاية الإنسان الشرير ونهاية الإنسان المؤمن بالمخلص المسيح. فتبين لنا أن مصير الشرير هو نهاية حياته السريعة والهلاك الأبدي، بينما مصير المؤمن هو أن الله يزيد من أيامه ويهبه الحياة الأبدية. أما في لقاء اليوم فسنبدأ الحديث عن الأمثال التي تتكلم عن بعض نواحي أو جوانب الشر، كما جاءت في الأصحاح الحادي عشر من سفر الأمثال.

هل أنت أمين يا صديقي في معاملتك مع الناس الآخرين؟ أم تحاول غشهم وخداعهم. كتب سليمان الحكيم قائلاً: "موازن غشٍ مكروهة الرب والوزن الصحيح رضاه." (أمثال 11:1) إن الرب الله وعلى عكس ما قد يظن به البعض، يراقب باستمرار حياة الإنسان العملية، فهو يكره الغش والخداع والتلاعب بالأوزان، بينما هو في نفس الوقت يحب الأمانة والإخلاص. إذا كان الغش قديماً يظهر عن طريق الموازين غير الصحيحة، لكنه في عصرنا الحاضر يتجلى في أمور كثيرة تتعلق بمعاملاتنا المالية والتجارية. فهل أنت صادق وأمين في معاملتك مع الناس الآخرين، أم تحاول غشهم وخداعهم وتأمين الربح الباطل السريع لنفسك؟

ثم تحدث سليمان الحكيم عن الكبرياء والتواضع فكتب قائلاً: "تأتي الكبرياء فيأتي الهوان. ومع المتواضعين حكمة." (أمثال 2:11) إذا نجحت صديقي في أمر ما فهل تنتفخ وتتكبر؟ أم هل تحاول أن تحفظ نفسك من الكبرياء وتتحلى بالتواضع؟ إن تجارب الحياة تعلمنا أن نتيجة الكبرياء هي السقوط، أما ثمار التواضع فهو النجاح. ولهذا كتب الرسول يعقوب أيضاً قائلاً: "لذلك يقول يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة." (يعقوب 4:6) فهل تطلب من الله أن يبعدك عن الكبرياء ويهبك التواضع؟

وتابع سليمان الحكيم قائلاً: "استقامة المستقيمين تهديهم واعوجاج الغادرين يُخربهم." (أمثال ١١: ٣) إن استقامة الإنسان المستقيم لا بد أن تقوده إلى الحياة الأفضل، بينما اعوجاج الإنسان الفاسد لا بد أن يفسد حياته ويأتي عليه بالهلاك.

وفي خمسة أمثال متتابعة يتحدث سليمان الحكيم عن أثر البر أو الصلاح على حياة الإنسان. فكتب قائلاً: "لا ينفع الغنى في يوم السخط. أما البر فينجي من الموت. بر الكامل يقوم طريقه. أما الشرير فيسقط بشره. بر المستقيمين ينجيهم أما الغادرون فيؤخذون بفسادهم." (أمثال ١١: ٤-٦) إن غنى الإنسان لا ينجيه في يوم السخط أي يوم الموت أو الكارثة المفاجئة، بينما البر أو الصلاح هو الذي ينجي الإنسان حقاً. والإنسان الصالح يستطيع أن يزيل العقبات من طريقه، والبر ينجيه. بينما الشرير يتعثر، ويوقع الشر المتمردون في الفخ الذي نصبوه لأنفسهم.

وتابع سليمان الحكيم في نفس المعنى قائلاً: "عند موت إنسان شرير يهلك رجاؤه ومُنْتَظَر الأئمة يبئد. الصديق ينجو من الضيق ويأتي الشرير مكانه." (عدد ٧ و ٨) نجد مقارنة في هذين المثلين بين ما يحدث للشرير إذ ينتهي كل شيء عند موته، و عما يحدث للصديق أثناء الحياة.

وفي ثلاثة أمثال أخرى يقارن سليمان الحكيم بين الرجل المنافق الشرير والرجل الصديق البار فكتب قائلاً: "بالفم يخرب المنافق صاحبه وبالمعرفة ينجو الصديقون. بخير الصديقين تفرح المدينة وعند هلاك الأشرار هتاف. ببركة المستقيمين تلو المدينة وبقم الأشرار تُهدم." (أعداد ٩-١١) هل تعلم مستمعي إن كلام الرجل المنافق لا بد أن يدمره بينما كلام الصديق ينجيه؟ وكذلك إن خير الصديقين يجلب الفرح للمدينة، وعند هلاك الأشرار يحصل الهتاف. أما بركة المستقيمين فلا بد أن تؤدي إلى تقدم المدينة أو المجتمع، بينما كلام الأشرار يهدمه.

وينصح سليمان الحكيم في خمسة أمثال أخرى الإنسان بتجنب عدة أمور. فكتب قائلاً: "المحتقر صاحبه هو ناقص الفهم. أما ذو الفهم فيسكت." (عدد ١٢) ينصحن الحكيم هنا أن لا نظهر الاحتقار علناً لأي إنسان. ويؤكد أن الإنسان الحكيم هو من يسكت في مثل هذه الأحوال.

وفي المثل الثاني ينصحنا سليمان الحكيم بعدم إفشاء السر، فكتب قائلاً: "الساعي بالوشاية يُفشي السر والأمين الروح يكتُم الأمر". (عدد ١٣) إن الشخص النمام هو الذي يفشي السر. وهذا ما قد يسبب تدميراً لحياة الآخرين. بينما الشخص الأمين يصبح أهلاً للثقة من الآخرين.

وفي المثل الثالث ينصحنا سليمان الحكيم بطلب المشورة من الناس الحكماء، فكتب قائلاً: "حيث لا تدبير يسقط الشعب. أما الخلاص فبكثر المشيرين". (عدد ١٤) إن الإنسان بحاجة دائماً إلى استشارة الآخرين من الحكماء، الذين لا بد أن يساعده في تدبير أموره العملية.

وفي المثل الرابع ينصحنا سليمان الحكيم بعدم إعطاء مالنا بالربا. فكتب قائلاً: "ضرراً يُضُرُّ من يضمن غريباً. ومن يُبغض صفق الأيدي مطمئن". (عدد ١٥) إن الضرر لا بد أن يصيب الإنسان الذي يعطي أمواله بربا، بينما الاطمئنان يكون نتيجة الإنسان الذي يبغض هذه الصفقات.

وفي المثل الخامس والأخير ينصح سليمان الحكيم المرأة بكيفية اكتساب الكرامة، وكيفية الحصول على الغنى، فكتب قائلاً: "المرأة ذات النعمة تُحصَل كرامة والأشداء يحصلون غنى". (عدد ١٦) إن نعمة المرأة تأتي عن طريق الأمانة والإخلاص. والغنى الحقيقي يكون عن طريق الصلاح.

مستمعي الكريم، إن كل هذه الأمثال والنصائح التي تأملنا بها في لقاء اليوم، تكشف لنا جميعاً كيف نسلك عملياً في حياتنا اليومية. لكن يبدو واضحاً لنا أهمية الحصول على الصلاح والبر. وهذا ليس ممكناً إلا عن طريق الله خالقنا الذي يهبنا الصلاح الحقيقي والبر الكامل. لقد أرسل الله المخلص المسيح لكي يموت عوضاً عنا على خشبة الصليب، آخذاً عقاب خطايانا. وهكذا صار بمقدور أي إنسان يؤمن بالمخلص المسيح، لا أن ينال الغفران عن خطاياه فحسب، بل أن يهبه الله الصلاح الحقيقي والبر الأكيد.

فهل تود مستمعي أن تكون من أولئك الصديقين المستقيمين الذين طالما تحدث عنهم سفر الأمثال؟ لم لا تأتي الآن تائباً عن ذنوبك ومؤمناً بالمخلص المسيح، فيهبك الله البر الكامل، وتصبح إنساناً تفعل الصلاح والخير.